

على الخلفاء



«ساعة الصفر» بدأت... والمقاومة في أتم جهوزيتها

بدء فرار المتعاقدين الأميركيين من العراق

بغداد - الأخبار

قوبل تأكيد العراق - على لسان رئيس حكومته المستقيل عادل عبد المهدي - تسلمه رسالة من القيادة العسكرية الأميركية تفيد بـ«إعادة تموضع قواتها تمهيداً للانتسحاب من العراق»، بتأكيد الإدارة الأميركية بقاءها في هذا البلد، وإعلانها أن «الرسالة أرسلت عن طريق الخطأ». عبد المهدي، وفي كلمة قالها أمام وزيراته أمس، أشار إلى أن «الرسالة موقعة من قائد العمليات العسكرية الأميركية في البلاد، وهي توضح اتخاذ إجراءات معينة لضمان الخروج من العراق، تبدأ بعمليات إعادة تمركز خلال الأيام والأسابيع المقبلة»، رئيس الوزراء المستقيل،

على رغم تضارب المواقف الأميركية إلا ان الحركة الميدانية تشي بان ثمة «إعادة تموضع» بالفعل

والذي يُرجح أن يستمر في منصفه إلى أمد غير معلوم، لفت إلى أن «الرسالة رسمية، وجاءت في سياقها الطبيعي، وليست ورقة وقعت من الطابوعة أو أخت الاستعداد للردّ» وفيما شُف أن فريقه قال للجناب الأميركي أن «الترجمة العربية فاسم تختلف عن الترجمة الإنكليزية، فعادوا وأرسلوا نسخة عربية أخرى تتطابق ترجمتها مع الإنكليزية»، رفضت القيادة العسكرية الأميركية أي حديث مماثل، متمسكة بالقول إنه «ما من قرار على الإطلاق بمغادرة العراق... نقطة على السطر»، وعلى رغم تضارب المواقف الأميركية في العلن، إلا ان الحركة الميدانية تشي بان ثمة «إعادة تموضع» بالفعل. وفي حين ذكرت مصادر ميدانية أن قاعدة بلد الجوية (64 كيلومتر شمال بغداد) و36 نقطة

عسكرية (في المناطق الوسطى والحاذية للعاصمة) تم إخلاؤها بالكامل، وأضحت مصادر حكومية، في حديث إلى «الأخبار»، أن «الانتسحابات لم تشمل (إلى الآن) القوات الأميركية، إنما الشركات الأميركية المتعاقدة مع الجيشين العراقي والأميركي، والعاملة في برنامج التدريب لطيارين والدعم اللوجستي (ضمن برنامج FMS)»، مضيفة أن «شركتي لوكهيد مارتن وسالي بورت الأميركيين وشركات أخرى قد انسحبت فعلاً من قاعدة بلد». من جهتها، أكدت مصادر أمنية أن «القيادة الأميركية أعزّت إلى قواتها بعدم سلوك أيّ طريق بري، والعراق خصوصاً، الذي يضخّ وفق بعض التقديرات 25 ألف عسكري. لكن مصادر حكومية ترفض أيّ تقدير مماثل، حاضرة العديد من المصادر، عبر عنه الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، بدعوته إلى إخراج الاحتلال الأميركي من منطقة الشرق الأوسط عموماً، والعراق خصوصاً، الذي يضخّ وفق بعض التقديرات 25 ألف عسكري. لكنها حكومية ترفض أيّ تقدير مماثل، حاضرة العديد من المصادر، عبر عنه الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، بدعوته إلى إخراج الاحتلال الأميركي من منطقة الشرق الأوسط عموماً، والعراق خصوصاً، الذي يضخّ وفق بعض التقديرات 25 ألف عسكري.

عسكرية أميركية. في موازاة ذلك، تؤكد مصادر مطلعة من داخل أكثر من فصيل عراقي مقاوم أن «جبهة المقاومة العراقية على أتم الجاهزية والاستعداد للردّ على الجريمة الأميركية، والتي أودت بحياة الشهداءين فاسم سليمان وأبو مهدي المهندس، في انتظار ساعة الصفر التي ستكون لحظة الردّ الإيراني» الذي انطلق ليل الثلاثاء - الأربعاء، مضيفة في حديثها إلى «الأخبار» أن «طهران ستتولى الردّ رسمياً على الجريمة، وليس عن طريق حلفائها»، وهو ما بدأ فعلاً. وتبين المصادر أن الردّ العراقي سيتخذّ تعدين:

1- الإقتصاص لشخصية جهادية عراقية، إلى جانب كلّ الشهداء الذي طلبهم العدوان الأميركي أخيراً، حتى لا يتكرر «حمام الدم» هذا

في ظلّ تمادي الأميركي وخرقه المستمرّ للسيادة العراقية، خصوصاً وأن إشارات متعددة أفادت بنية واشنطن مواصلة عمليات التصفية لشخصيات «جهادية»، بهدف «تطويع الحشد»، وإبعاده عن المعادلة الإقليمية بوجه المحور الأميركي - الصهيوني.

في هذا الإطار، تشير المصادر إلى أن إصرار واشنطن على البقاء في العراق من جهة، وإعادة تموضع قواتها من جهة ثانية، يعني انسحاب القوات الأميركية من المناطق الجنوبية، ذات الغالبية «الشيعية»، وانتقالها إلى «مناطق آمنة» في الشمال والغرب، حيث الغالبية «السنية»، وفي تكرار أيضاً ما يجري في «القديم كبردستان» الذي يضخّ 6 قواعد أميركية لا تعرف الحكومة ما يدور فيها. هذا المخطط، في حال سلك صريحاً للدستور، وتلويحاً مطناً بـ«حرب أهلية» وعودة داعش، كما تقول المصادر، في ظلّ تحضيرات جذية لإحيا مشروع «الصحوات» (سبق أن تحدّثت «الأخبار» عنه في أيلول/سبتمبر الماضي)، بهدف حماية تلك القواعد، على اعتبار أن القوات الأميركية تحمي المناطق المذكورة من «التمرد الشيعي أو الأهداف الشيعي».

هكذا إذا، سيحتجّ على ما يبدو تسعير الخطاب الطائفي في الأيام المقبلة، وسط جهود تبدلها الجيوش الإلكترونية التابعة للسفارة الأميركية في بغداد في بثّ دعابة تدعو إلى ضروية بقاء الاحتلال، وتتهم من يشارك في قتاله بـ«الشيعة لإيران». دعابة تشي بوضوح بأن الولايات المتحدة ستلجأ إلى سلاح «التفتين» داخل البيت العراقي، من أجل نزع اللصبة الوطنية عن الخطاب المناهض للاحتلال، وتحويل قضية بحجم تحرير العراق وتعيين استقالته، إلى مادة خلافية بين «الحكومات»، التي اخترعها الأميركيون ولا يزالون يجهدون لإبقائها متفرقة مشتتة.

المهندس إلى منواه الأخير في النجف



بعدها شتّع جنماته إلى جانب جنمان قائد «قوة القدس» في «الحرس الثوري» الإيراني الشهيد فاسم سليمان، في العاصمة الإيرانية طهران، عاد نائب رئيس «هيئة الحشد الشعبي» أبو مهدي المهندس، إلى مسقط رأسه مدينة البصرة، حيث شيعه عشرات الآلاف، قبل أن ينتقل على متن طائرة مروحية إلى مدينة النجف، حيث ووري الثرى مساء أمس، هناك، في مقبرة «وادي السلام»، إلى جانب عدد كبير من الشهداء. جنمان المهندس كان نقل إلى طهران لإجراء فحوصات الحمض النووي؛ إذ لم يستطع أحد التعرف عليه، فيما أفاد رئيس «لجنة الأركان الإيرانية للبحث عن المفقودين والشهداء المجهولين»، محمد باقر زاده، بأن «جثة أبو مهدي المهندس كانت قطعاً عذة لا أكثر».

(الصورة من وكالة الصحافة الفرنسية)

قائني يلتقي قادة المقاومة الفلسطينية: فضل الحاج قاسم لا يُنتسى



تناولت الحملة الكبيرة على الفصائل بسبب مشاركة قائد فصي الشبيح (من اليمين)

عقد القائد الجديد لـ«قوة القدس» في الحرس الثوري الإيراني، العميد إسماعيل قائني، اجتماعاً في العاصمة الإيرانية طهران أمس، مع قادة فصائل المقاومة الفلسطينية الموجودين هناك، بعدما شاركوا في التضرع باستشهاد الفريخي فاسم سليمان، وزاروا منزل عائلته، والقوا خلال ذلك كلمات عديدة، إضافة إلى تصريحات أدلوا بها لوسائل إعلام فارسية. يأتي هذا بعدما نُشرت صورة تجمع قيادة «حماس»، وعلى رأسها رئيس المكتب السياسي للحركة إسماعيل هنية، مع قائني، وهو ما أثار ردود فعل إسرائيلية وعربية كبيرة. وقالت وسائل إعلامية عبرية إن مشاركة رئيس «حماس» في التشميع ربما تؤدي إلى «أزمة حادة» في العلاقات بين القاهرة وحماس، لأن هنية وعد (المصريين) بالأى يزور طهران».

لـ«الأخبار»، إن سليمان «صاحب فضل كبير في بناء القدرات العسكرية، بالإضافة إلى إمداد المقاومة بمختلف أنواع الأسلحة، بدءاً من النماذج خلال الحرب الأخيرة عام 2014 إلى حرب قرابة مليون مستوطن من غلاف غزة آخر أسبوعين» من الحرب. أما على صعيد الصواريخ، فشهد القطاع احتلال من غزة عام 2005، ولاحقاً إمداداً وتطويراً للقدرات التي بدأت بإدخال «الكتايوشا الصغيرة 107»، وصولاً إلى «فجر 5» وما يوازيه، والصواريخ الأخرى التي لم نعلمها المقاومة. كما أن الصواريخ الجديدة التي استُخدمت عن نماذج إيرانية، تقول المصادر إن سليمان أشرف بنفسه على نقل مخططاتها إلى غزة، كما كان حريصاً على فكرة أن تصنع نسخ متعددة منها داخل القطاع بغداية وقوى تفجيرية مختلفة. لم تتوقف جهود سليمان عن إمداد غزة بالسلاح، بل يشهد البرع المقاتلين الفلسطينيين على دوره في نقلهم

نماذج متطورة من هذا السلاح استطاعت الصناعات العسكرية لدى المقاومة استنتاجها محلياً، ما أدى خلال الحرب الأخيرة عام 2014 إلى هرب قرابة مليون مستوطن من غلاف غزة آخر أسبوعين» من الحرب. أما على صعيد الصواريخ، فشهد القطاع إمداداً وتطويراً للقدرات التي بدأت بإدخال «الكتايوشا الصغيرة 107»، وصولاً إلى «فجر 5» وما يوازيه، والصواريخ الأخرى التي لم نعلمها المقاومة. كما أن الصواريخ الجديدة التي استُخدمت عن نماذج إيرانية، تقول المصادر إن سليمان أشرف بنفسه على نقل مخططاتها إلى غزة، كما كان حريصاً على فكرة أن تصنع نسخ متعددة منها داخل القطاع بغداية وقوى تفجيرية مختلفة. لم تتوقف جهود سليمان عن إمداد غزة بالسلاح، بل يشهد البرع المقاتلين الفلسطينيين على دوره في نقلهم

سليمانى نقل عمل المقاومة من مجموعات بدائية إلى الاحتراف

سعي رئيس الولايات المتحدة الأميركية دونالد ترامب وأركان إدارته، خلال اليومين الماضيين، إلى تبرير جريمة اغتيال القائد العسكري الإيراني اللواء قاسم سليمانى وأحد قادة «الحشد الشعبي» العراقي أبو مهدي المهندس وعدد من رفاقهما، هو محاولة استباقية لتجريم الردّ عليها. يعتقد البعض في إدارة ترامب أن بإمكانهم توصيف الردّ المنتظر بأنه جريمة اعتداء، والترويج لكون الأميركيين ضحية «الإرهاب العالمي»؛ وبالتالي فعلى جميع الدول التضامن معهم لاستكمال مسلسل «الحرب على الإرهاب» بحلّة جديدة لموسم 2020، عبر «تفليكس» بنسختها الواقعية (ترامب هو أصل أول وأبرز من يستخدم الميديا الجديدة سلاحاً مركزياً وأداة أساسية لقيادة أميركا والتلاعب بمصير العالم).

وزير الخارجية الأميركي، مايك بومبيو، كزّر الادعاء بأن اغتيال سليمانى ورفاقه كان «خطوة استباقية» أتت في إطار «الدفاع عن النفس»، مشيراً إلى أن سليمانى ورفاقه كانوا يحضرون «هجوماً حتمياً» يستهدف أميركيين. لكن بومبيو لم يكشف حتى الآن عن أيّ قرينة تدلّ على «الهجوم الحتمي» ولم يبدأ حتى إلى إعادة نشر رسم القنينة الإيرانية النووية والشبكة التي كان قد تباهى رئيس كيان العدو الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، بعرضها على الجمعية العمومية للأمم المتحدة عام 2012. فلو قامت الإدارة الأميركية بنشر صور ومعلومات وتسجيلات تزعم من خلالها أن سليمانى كان يخطط لمهاجمة أميركيين لكزت سلوك إدارة الرئيس السابق جورج بوش قبيل اجتياح العراق عام 2003.

حين قّم الوزير كولن باول «إثباتات» عن امتلاك الرئيس العراقي صدام حسين أسلحة دمار شامل، تبيّن لاحقاً أنها مزورة. فسلوك إدارة ترامب مختلف، ويتميّز بوقاحة استثنائية تعفبه، في نظره ونظر مناصريه، من أيّ اهتمام بتأكيد صدقية ما يدّعيه، فلننتدكر أن شعار ترامب المركزي هو «العظمة لأميركا»، ومدعى العظمة متكبّر ووقع لدرجة أن ادعائه لا تحتاج بنظره إلى أيّ إثباتات أو قرائن.

نفي ترامب، من خلال تغريداته الإلكترونية، نيّته إشعال حرب ضدّ إيران، ودعاها إلى التفاوض. يعني ذلك أنه يتوهم أن اغتيال سليمانى ورفاقه سيُخصّص الإيرانيين لشروط التفاوض لمصلحة الأميركيين. لكن يبدو أن الرئيس الأميركي لم يتنبّه لعواقب لعب ورقة الدم «على المكشوف» وهي عواقب لا تقتصر على الإطار العملي والتنفيذي، بل تشمل كذلك الإطار القانوني والنظري العام. لا شك في أن «الدفاع عن النفس» يبرّر قانونياً استخدام العنف، وهو ما تؤكدته شرعة الأمم المتحدة. لكن هل يمكن عدّ هجوم الجيش الأميركي على موكب عسكري رسمي يتجول في العاصمة العراقية «دفاعاً عن النفس»؟

أولاً: ليس هناك في نص الاتفاقيات الأمنية والعسكرية بين جمهورية العراق والولايات المتحدة الأميركية أيّ مواد يمكن أن تبيّر شروع الأميركيين بمهاجمة أهداف محدّدة داخل الأراضي العراقية من دون طلب من الحكومة العراقية ومن دون التشاور معها، أو في الحدّ الأدنى إبلاغها في شأن العملية العسكرية. وبالتالي، فإن الهجوم الذي أسفر عن اغتيال سليمانى ورفاقه يُعدّ انتهاكاً لسيادة العراق (عضو مؤسس في منظمة الأمم المتحدة)، وتجاوزاً واضحاً للاتفاقية الدولية.

ثانياً: إن حتمية الخطر هي من أهم شروط «الدفاع عن النفس»، بينما لم يُثبت الأميركيون وجود «خطر» مباشر وحتمي على حياة جنودهم، كما ذكرنا آنفاً. ولم يكن الموكب المستهدف في حالة مواجهة عسكرية، ولا في مكان يمكن أن يشكل فيه خطراً مباشراً على حياة جنود أميركيين. أضف إلى ذلك أن السلطات الرسمية العراقية كانت تعلم بوجود سليمانى على أراضيها، ولا شك في أنه كان على تواصل مع مسؤولين حكوميين عراقيين أثناء وجوده في العراق. وبالتالي، فإن اغتيال الجيش الأميركي لسليمانى ورفاقه يمكن توصيفه بعمل عدائي يستهدف جمهورية العراق. والسلطات العراقية تعمل حالياً على تحضير الشكوى التي ستقدّمها إلى مجلس الأمن الدولي في هذا الشأن.

ثالثاً: إن الاتفاقية الأمنية التي تحدّد الأحكام والطلبات الرئيسية التي تنظم الوجود المؤقت للقوات العسكرية الأميركية في العراق وأنشطتها فيه وانسحابها من العراق» (2008) تشمل الولاية القضائية. ويكون بموجبها للعراق الحقّ الأول بممارسة الولاية القضائية على أفراد قوات الولايات المتحدة. لم يشرّف القضاء العراقي على العملية، ولم يكن أصلاً يعلم بها إلا بعد انتهائها، وبالتالي لا مجال لفتح تحقيق جنائي في الهجوم واتخاذ المحاكم العراقية إجراءات قضائية بحق الجرمين.

نخص إلى أن الهجوم الذي قامت به الولايات المتحدة في محيط مطار بغداد ليس مبرراً قانونياً، ولا يقتصر توصيفه على «جريمة» بل يتعدى ذلك إلى كونه عدواناً يستهدف سيادة العراق وأمنه وسلامه أراضييه. وبالتالي، فإن للجمهورية العراقية الحقّ القانوني في شنّ حرب على الولايات المتحدة، لا مجرّد الحق في إلغاء الاتفاقية بين البلدين.

عمر نشابة

Jus ad bellum